مرآة الغرب

تقديم الدكتور عمر حليق

هذا باب جديد تقدمه « الاداب » مع مطلع العام، وفيه يستعرض احد كبار المثقفين العرب ، الدكتور عمر حليق، المقيم حاليا في اوروبا، مختلف وجوه النشاط الثقافي الاجنبي .

المئة الاوائل من الرسامين الاحياء

تولى « مجلس الفنون » البريطاني توضيب معرض رسوم فريد من نوعه المفروض فيه انه يمثل المئة الاوائل من الرسامين الاحياء في مختلف الشعوب والثقافات . وقد افتتح المعرض في قاعة (تيت) في لندن بعد ان اشرف مجلس الفنون وطائفة من المؤسسات الثقافية في بلدان عديدة على توفير الرسوم له رغم تعدد مالكيها ورغم الجدل الذي لا مفر له ان ينشأ بين النقاد والمستشارين حول صواب الاختيار .

والزائر لقاعة العرض يترقب اول الامر ان يواجه هذه النماذج المألوفة من مشاهير الاسماء : (بيكاسو) و (سالفادور دالى) و (براك) و (كوكوشكا) و (ميرو) واشباههم ممن تتردد اسماؤهم عند عشاق الرسم على انهم النخبة المختارة في حاضر الفن العالمي . ولكن سرعان ما يزول هذا الترقب . فالنماذج المعروضة تعمدت ان لا تتأثر بالشائع من المشاهير ولم تتعمد ان تختص مدارس معينة ، بحيث جاء التمثيل في قاعات العرض سجلا جميلا للقاسم المشترك الاعظم الذي يجعل من الابداع الفني وطنا مستقلا بذاته . فعلى الرغم من ان العرض قد تم على يد مجلس الفنون البريطاني الذي تعززه الدولة ماليا فان نماذج الفن البريطاني لم تتكابر على نماذج الاخرين لا في امكنة العرض ولا في كميته. فقد حظي الفنانون الامريكان امثال (بيتر بلايك) و (راوشنبرغ) والفنانون الفرنسيون امثال (دالفو) و (دوبوفيت) والايطاليون امثال (جياكوماني) و (جوتوسو) ـ حظي كل هؤلاء باقساط متساوية في الترتيب وفي دقة الاختيار . وقد واجه منظمو العرض بعض النقد حول اسس الاختيار الا ان اجماع النقاد انه اقرب شيء الى تمثيل عبقرية الرسم المعاصر.

مسرحية « انوي »

***

تأثر الادب واهله بدلال الاحداث السياسية حقيقة لا يقتصر ترددها في ظل الحكم المطلق وانما في شتى القوالب والنظم السياسية التي تعيش عليها الشعوب مهما تفاوتت في اصولها الديمقراطية علوا او انحطاطا .

خذ مثلا ما حدث لمسرحية جان آنوي « بيتو المسكين » (PAUVRE BITOS) التي صادف ظهورها ابان معركة العدوان الثلاثي على قنال السويس . فقد احتسبها الفرنسيون او اكثرهم آنئذ على انها قد تذكي شعور العداء نحو فرنسا في الخارج ، لان في مضمونها لونا من الايحاء بان تاريخ فرنسا مشوب بطابع القرصنة .

ونظرا لوثوق التحالف بين فرنسا وبريطانيا في مغامرة العدوان على السويس احجم البريطانيون ـ وهم من عشاق آنوي والانتاج الفرنسي عامة ـ عن جلب هذه المسرحية الى لندن الا بعد ان تلاشت الزمالة البريطانية ـ الفرنسية واستبدلت بجحود سياسي متبادل مرجعه في رفض الجنرال دي غول قبول بريطانيا في عضوية السوق الاوروبية المشتركة.

واليوم يستقبل (مسرح الفنون) في لندن مسرحية آنوي في ترجمتها الانجليزية في كثير من التقدير لا لرفعتها الفنية فحسب بل لنوع من التشفي السياسي الذي يتقنه الطبع الانجلو سكسوني رغم ما يشاع عن تحجر عواطفه ازاء الاحداث .

والفصل الاول مشهده هذا النمط من انتاج آنوي ـ حفلة تنكيرية انيقة ـ اصر صاحب الدعوة على ان يتقمص المدعوون اليها نماذج من شخصيات الثورة الفرنسية . ويدخل « بيتو » في ثوب نشاز من حيث اللون والهندام في هذا الجو الانيق فسرعان ما يشعر بحرج هو بادرة من سلسلة من الهمزات يحيق المؤلف بها شخصية « بيتو » ليبرز مدى غرابة المسكين عن هذا الجو الذي لا ينتمي اليه اصلا ومكانة . فقد تقمص « بيتو » شخصية « روبسبيير » سفاح الثورة . وهذا التقمص لا غبار عليه بحكم ان « بيتو » في الحياة العادية رجل ترقى رغم وضاعة نسبه الى مركز مرموق كنائب للمدعي العام .

وسرعان ما يسلط المؤلف على لسان « ماري انطوانيت » واشباهها من ذوي الرفعة والنسب الموروث سياطا من السخرية بحيث لا تقوى اعصاب « بيتو » المسكين على تحمله فيغمى عليه ويداهمه حلم طويل يستعرض فيه ماضي « روبسبيير » وبطشه على اعتبار ان مرده في قصور نفسي وجنسي عند « روبيسبير » حدا به ان يشتط في انتقامه من الخصوم لعجزه عن منافستهم في الظرف الاجتماعي وفي مخادع النساء . وقد تعمد مخرج المسرحية في لندن ان يسبغ على تمثيل « بيتو » طابعا واقعيا فيه لون من السماجة كهذه الحركات التي اكثر من ترديدها في غيبوبته يزيل بها الثياب عن جوار عضوه التناسلي بحيث يوحي الى النظارة بانه يستمتع بلذة جنسية مصطنعة من النوع المألوف عند المراهقين.

وفي الفصل الثالث يسترد « بيتو » وعيه ويندفع في تجنيد هذا النزر اليسير من قوة الشخصية التي توفرت له ليقنع الاخرين انه حريص على الامتزاج بهم والانتماء الى مستواهم الطبقي غثه وسمينه . وبمعن مؤلف المسرحية في لحن السخرية فيترك لصاحب الدعوة سيلا من معسول الكلام وجميل الظرف والتأدب على هذا النحو الذي يتقنه المجتمع الباريسي يوحي به صاحب الدعوة الى « بيتو » المسكين ان الجمع في الحفلة لم ينصفه وانهم في صدق واخلاص يعتذرون عن هذه السخرية وعن الهوى والفبن الطبقي الذي احرجوه به . ولكن سرعان ما تتكرر السخرية في هذه القوالب المفاجئة التي يشتهر بها المسرح الفرنسي والتي لا اجد في اللغة العربية مدلولا موازيا لها على حد يصف هذا اللون من الفن المسرحي الذي يطلق عليه الفرنسيون كلمة FARCE

والواقع ان عنوان المسرحية لا يعكس بالضبط فلسفتها ومغزاها. فبطل الرواية « بيتو » شخصية قد تستدعي العطف والشفقة ولكن في بطن المؤلف شيء ابعد من العطف ومن الشفقة والرأفة على من يصبو الى مساواة في العدل الاجتماعي في مفهومه الطبقي . في بطن المؤلف لعنة على تافه القيم « سياسية ام اقتصادية ام حضرية » كهذه التي يتعلق بها ويصبو اليها من جفت قلوبهم وارواحهم سيان في ذلك اهل اليمين او اهل

اليسار ، اهل الحسب او ذوي النسب المتواضع ويتساوى عند المؤلف في هذه اللعنة الفقراء والاغنياء ، دعاة المجد ام الراكنون الى القضاء والقدر . ففي سياق الحوار براعة التعبير المسرحي حين يصارح عشيرته واهل العناد والعظمة الفارغة منها على وجه التخصيص ان التاريخ في اصوله صراع بين القراصنة .

مخلفات جديدة من تراث برنارد شو

***

كان المعتقد ان الكاتب الارلندي المشهور « برنارد شو » لم يظفر احد مثله بدقة ما نشر من تراثه في الادب المسرحي وفي اللغة وادب المقال وفي ابواب اخرى من الانتاج الفكري – في النقد الموسيقي وفي الفلسفة الاشتراكية وفي الدراسات الشعرية ايضا .

وقد عثر مؤخرا على مجموعة من المذكرات الخاصة كان برنارد شو قد دونها خلال ثلاث عشرة سنة في مستهل شهرته الادبية وسجل فيها كل ما جال في خاطره عن الحياة الادبية والسياسية في تلك الفترة بما في ذلك الاف النبذ من النقد الذاتي لبعض المسرحيات والبحوث التي كتبها برنارد شو نفسه ونشرت او اخرجت على الناس .

وقد عثر على المذكرات في حجرة صغيرة في قبو المستودعات لمدرسة العلوم الاقتصادية في لندن – معهد الطريقة البريطانية للفلسفة الاشتراكية (والفابية) التي كان برنادشو من روادها .

ويستفاد من تعليقات صحف الادب في بريطانيا عن هذه المذكرات (فالمذكرات نفسها لم تطبع بعد) ان برنارد شو يسجل على نفسه قصورا جنسيا في معاشرته لهذا العدد الوافر من مشاهير النسوة (اديبات وممثلات وغيرهم) ويؤكد بان اكثر ما روج عن غرامياته في اوساط الادب وفي الصحافة كان مبالغا فيه .

وقد توقف برنارد شو عن تدوين مذكراته هذه في عام ١٨٩٧ – أي قبل وفاته بأعوام واعوام .

والمعتقد ان المذكرات ستنشر قريبا . فليس في وصية برنارد شو أي اشارة الى رغبته قبل الممات في ان تظل هذه المذكرات طي الكتمان لاجل مسمى – كما هي عادة بعض الادباء وخصوصا فيما يتعلق بهذا القالب الشخصي البحت في حياة الاديب.

راقص من القوقاز يغزو لندن

في سلسلة من الحفلات في الموسم الحالي للباليه البريطانية استأثر راقص روسي من بلاد القوقاز ببطولة الموسم – كفنان مكتمل طاعته فنون الرقص وعبقرية الاخراج وهذا النوع الدقيق من جدية التعبير الفني في مدرسة الرقص الكلاسيكية .

انه الراقص نوريف – او نوري كما يبدو من التحريف الروسي لاسمه الشرقي . ونوريف هذا اعاد الى عشاق الباليه ذكرى عباقرته الروس – الباليه علم على ما في الحضارة الروسية (قبل السوفييت وفي عهدهم) من عزيز صلاتها بالحضارة الاوروبية .

ونوريف في الخامسة والعشرين من عمره جاء الى باريس قبل عامين في مجموعة من الراقصين الروس لاحياء حفلات رسمية في اوروبا الغربية. ولامر في نفسه اختار ان يشق عصا الطاعة ويطلب اللجوء الى فرنسا فمنحته الحكومة الفرنسية هذا الحق . وقد اختار نوريف ان ينضم الى فرقة الباليه البريطانية الملكية لاسباب منها ان هذه الفرقة تعادل ان لم تفق أية حلقة اوروبية او عالمية اخرى للرقص الكلاسيكي . ومنذ انضمامه الى هذه الفرقة البريطانية وهو يشق عصا الطاعة على مختلف اوجه التقليد الفني فيستنبط من عنديات قوالب جديدة له . ويظهر ان هذه الثورة الفنية هي سر رفعته الفنية اليوم وشهرته ونفوذه البليغ في حاضر الباليه البريطاني .

وآخر انتاج لنوريف في لندن هذا القالب الجديد الذي اخرج به قطعة كلاسيكية روسية قديمة وضعت عام ١٨٧٧ ولم تعرض على المسرح الاوروبي من قبل الا مرة واحدة ، عندما قدمتها الفرقة الروسية التي شق عصا الطاعة عليها في باريس نوريف نفسه . واسم القطعة « مملكة الظل » وقد اخرجها وقام بالدور الرئيسي فيها مشاركا فيها « مارجو فونتين » معبودة الجماهير البريطانية وملكة الباليه في اوروبا الغربية بلا منازع . ومس فونتين في حوالي الخامسة والاربعين الا انها في رشاقة المراهقين .

ونوريف في اخراجه لهذه القطعة الفريدة لم يتعمد طبعا ان يحور قبس الموسيقى وانما في توزيع الادوار وفي هندسة التعبير بالايدي والسيقان والخلجات ومختلف المقدرة الفنية التي لا تعرف حدودا ولا قوالب معينة ثابتة لتترجم بها ما في دخيلة الفن والفنان من تجارب .

الكاتب البريطاني (د. هـ. لورنس) في ضوء أدبي جديد

في سلسلة الدراسات عن مستوى الذوق الادبي التي تنشرها جريدة التايمس اللندنية في صفحتها الادبية بحث طريف عن الكاتب المعروف (د.هـ. لورنس) واحدى دعائم الادب الانجليزي بعد وفاته بمرحلة طويلة كان آخر نماذجها هذا الجدل الذي اثاره كتاب (عشيقة الليدي شاترلي) حين اجاز القضاء البريطاني قبل عامين فقط اباحة نشر هذا الكتاب في بريطانيا بعد عشرين عاما تقريبا على وفاة مؤلفه لورنس ، ففتح بذلك طاقة جديدة واسعة لحرية الادب وقوالبه التعبيرية .

ويعتقد « الاستاذ جوم » واضع الدراسة عن لورنس ان من اسباب الفشل في تأثر الذوق الادبي بانتاج لورنس ابان حياته نزعته الى النفور من هذه الرياضة الادبية التي يغرم بها معظم الادباء البريطانيين في تعلقهم بمراجعة الادب القديم يستوحون منه قوالب جديدة لصياغة الذوق الادبي، في حين ان لورنس كان مغرما بمتابعة الانتاج الادبي المعاصر له على احتساب

صدر حديثا : عن دار الطليعة ص. ب ١٨١٣

غابة الحجارة

شعر

رفيق خوري

انه أقرب الى مسؤولية الاديب في معترك الحياة . وفي الحالات النادرة التي تطرق فيها لورنس الى مراجعة الادب القديم كان اختياره لذلك ممعنا في القدم . ففي « دراسات في اسس الادب الامريكي » تعمد لورنس ان يكتشف ما لم يعبأ به او يتطرق له كتاب اخرون في مجال ادبي كالمراحل الاولى من نشوء الادب الامريكي كان الكثيرون لا يعتقدون بان فيه متسعا للدراسة والتحليل والاستنتاج . وكتاب لورنس عن الادب الامريكي القديم هو الان مرجع عتيد .

ويقول الاستاذ (جوم) عن اسلوب لورنس في الكتابة وغرامه بالاعادة وبالتوكيد وفيما استنبطه من مختصر التعابير في اللغة والبديع والبيان ـ هذا الاسلوب كان تدبيرا متعمدا من لورنس يصر به على ضرورة الاصغاء ويؤكد به اهمية المشاركة بين الكاتب والقاريء بحيث يستوجب على القاريء ان يبذل من جانبه جهدا في الاصغاء يعادل جهد الكاتب في التعبير .

الدوس هاكسلي

***

مات الدوس هاكسلي عن ٦٩ عاما فانطوت معه صفحة فريدة في الادب الغربي المعاصر ـ صفحة جمعت بين نور العلم وروحانية الادب وعمق الثقافة والتزام القلم في ان لا تقيده اعباء الميراث او يستعصى عليه هذا السيل المتلاحق من الانتاج المعاصر ـ فنا وعلما وسياسة وشتى ما يعتري الحياة العقلية من تطور او شطط . فقد جمع هاكسلي في وقت مبكر جدا كل هذه المقدمات الثقافية التي يستلزم جمعها في حضارة هذا القرن فجاء انتاجه الادبي نموذجا صادقا لهذا التمازج الدقيق بين مناهج العلم وبلاغة الادب واحساس المثقف بواجبه في خضم التيارات العنيفة الصاخبة التي اكتسحت تاريخ القرن العشرين . فقد كان الكتاب المفضل عند هاكسلي « دائرة المعارف » بمجلداتها الضخمة وبدقيق استيعابها لحضارة القرن العشرين وامانة تسجيلها للتراث القديم ومراعاتها للمستجد في كل تطور يثري ألم بالحضارات الانسانية. وقد ولد هاكسلي في بيت من اعرق بيوت العلم والادب والثقافة الرفيعة في بريطانيا . فكان جده لابيه « توماس هاكسلي » من رواد العلوم الطبيعية ، وكان جده لامه اكبر مرب عرفته مناهج التعليم الانجلو سكسوني . وعلى موائد الطعام في هذا البيت العريق تلقى «الدوس» من اصول الثقافات ما لا يطمح في استيعابه الاخرون في سنوات طوال من التحصيل الجامعي .

وكان من المفروض ان يتابع الدوس دراسته في الطب الا انه عكف عن ذلك واختار الادب الانجليزي في كلية باليول باكسفورد وتخرج منها عام ١٩١٥ . وفي سنوات قلائل قدم الدوس هاكسلي الى اوساط الادب الانجلو سكسوني طائفة من الكتب لفتت الانظار بسرعة مدهشة والتف حولها الاتباع والمريدون .

وفيما يلي اسماء الكتب وتاريخ نشرها :

ATHENAEUM	عام ١٩١٩
CROME YELLOW	» ١٩٢١
ANTIC HAY	» ١٩٢٣
THOSE BARREN LEAVES	» ١٩٢٤
LITTLE MEXICAN	» ١٩٢٥
TRAVELLING	» ١٩٢٥
TWO OR THREE GAAEES	» ١٩٢٦
PROPER STUDIES	» ١٩٢٧
BRIEF CANDLES	» ١٩٣٠
MUSIC AT NIGHT	» ١٩٣١
THE OLIVE TREE	» ١٩٣٦

وفي ادب الرحلات سجل هاكسلي في الادب الانجليزي لونا جديدا يسرد الاحداث ويربطها بالطابع الثقافي والحضري للديار التي زارها. ومن هذه الكتب ما يلي :

ALONG THE ROAD
TESTING PILATE
BEYOND THE MEXICO BEY

وقد توطدت صداقة هاكسلي مع الكاتب العبقري البريطاني الاخر « د. هـ. لورنس » وكان لهاكسلي فضل في تعريف الوسط الادبي المحافظ في بريطانيا بعبقرية لورنس رغم الثورة الفكرية واللغوية والتعبيرية التي كانت في انتاج «لورنس» مما استعصى على الوسط البريطاني استمزاجه او قبوله . (فقد ظلت بعض كتب لورنس ممنوعة من النشر والتداول في بريطانيا الى ما قبل عام او عامين فقط) .

وقبيل الحرب العالمية الاخيرة هاجر هاكسلي الى امريكا وانشغل فترة من الزمن في انتاج المسرحيات التمثيلية او السينمائية : الاصيل منها والمقتبس مثل :

JANE EYRE
ALICE IN WONDERLAND
SMILE

وسرعان ما نفر هاكسلي من هذا الجو الفني ونزع الى دراسة الصوفية والتصوف والى التعمق في صميم المشاكل السياسية والانسانية التي جاءت بها الحرب العالمية الاخيرة . فأنتج ما يلي :

- BRAVE NEW WORLD
- POINT COUNTERPOINT
- EYLESS IN GAZA
- WHAT COULD BE DONE ?
- THE DOORS OF PERCEPTION
- THE PERENNIAL PHILOSOPHY

وفي الكتاب الاخير على وجه التخصيص حمل هاكسلي لواء الدعوة الى الصوفية والتصوف والقوالب البوذية منها خاصة . وكان له الفضل في انتشار هذه النزعة بين عدد من الكتاب الناشئين في امريكا.

ولكن سرعان ما ابت طلاقة العقل عند هذا المفكر العميق ان تتقبل الحلول الصوفية لمشاكل الحياة . فقد وجد ان التصوف عمل سلبي يعد بالحلول ولكنه لا يحققها . وترك هاكسلي الصوفية الى غير رجعة.

ومن القصص التي كتبها هاكسلي في موطنه الامريكي الجديد ما يلي :

AFTER MANY A SUMMER
TIME MUST STOP
APE AND ESSENCE

وكان اخر انتاج جدي لهذا الاديب العالم كتاب « الادب والعلم » LITTERATURE AND SCIENCE وقد صدر قبل شهرين من وفاته . والكتاب رمز اصيل للرسالة التي حملها هاكسلي طول حياته رسالة الادب والعلم وعلاقتهما بمشاكل الانسان .

كاتبة ارجنتينية تكشف المزيد من شخصية لورنس

يبدو ان هذا السيل من البحوث والدراسات عن لورنس ودوره في ثورة العرب لا حد له . فقد صدر في بريطانيا هذا العام وحده ثلاث دراسات جديدة ، وفي اميركا دراستان .

وآخر ما تناقلته الاوساط المفرمة بلورنس « وهي وفيرة » دراسة جديدة اصدرتها كبرى الاديبات في الارجنتين الانسة « مرغريتا اوكامبو » وقد نقلت الى الفرنسية وعنها الى الانجليزية ـ حيث ضمان للمؤلف في سعة الوصول الى اكبر عدد من عشاق لورنس .

وهذه الدراسة الارجنتينية تتركز حول قوة « الارادة » عند لورنس وفقدان الجذور الدينية القديمة عنده .

فقد تمادى لورنس في التغلب على مواطن الضعف البشري في ارادته وعزمه واهدافه فاستطاع ـ كما تقول المؤلفة ـ ان ينسجم في غير عناد مع طبيعة الصحراء ومع طبائع المناخ العربي البدوي الذي اختلط به وزامله وأحبه حبا جما .

وتعتقد المؤلفة ان قوة الارادة هذه عند لورنس لو صاحبها ايمان ديني اصيل (في أي معتقد او مذهب) لاستطاع لورنس ان يبعد عن نفسه غلواء الشك وغلواء النقمة والشعور بالخطيئة ونكث العهود وما الى ذلك من النكسات التي اصابت علاقة لورنس بالثورة العربية وآمالها وبمواقف الاستعمار البريطاني بعد ذلك منها .

ولو توافقت وتجانست ارادة لورنس مع طرف اصيل من ايمان ثابت لكان من السهل ـ عند المؤلفة ـ ان يرتفع لورنس الى ـ صفوف القديسين.

فوضى التدبير في ظل الحكم المطلق

صدر كتاب في بريطانيا وآخر في الولايات المتحدة الامريكية يلقيان اضواء جديدة على اسطورة الدقة والتدبير وحتمية المصير في ظل الحكم المطلق . وكلا المؤلفين من الدارسين المتخصصين في التاريخ الاوروبي المعاصر ـ وعلى الاخص تلك الحقبة التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الاخيرة .

اما الكتاب البريطاني وعنوانه :

HITLER'S Pre - War Policy and Military Plans

ومؤلفه هو ا.م. روبرتسون قيصر على ان هتلر لم يرسم لالمانيا أية خطة مدروسة لحتمية المصير في الصراع الالماني مع القارة الاوروبية . وان كل هذا القول الذي يسبغ على ديكتاتورية هتلر طابع الدقة والتنظيم واحتساب الخير والشر في فلسفة الحكم والسلوك السياسي والعسكري لم يكن الا هراء ـ كما تشهد بذلك هذه الوثائق التي تجمعت لدى المؤرخين الان عن الحقائق (لا الاطياف) في العهد الهتلري.

والواقع ان في بريطانيا مدرسة تاريخية يتزعمها استاذ الدراسات التاريخية في جامعة اكسفورد « البروفسور ا.ج.ب. تايلر » لا تعطي هتلر أي حظ من الكفاءة والمقدرة وحذق التدبير وبعد النظر كما هو مفروض ان يكون في طبيعة الحكم المطلق خصوصا اذا كان يستمتع بشعبية واسعة كما كان يستمتع هذا الديكتاتور النازي.

وفي بريطانيا ايضا يجادل هذه المدرسة التاريخية استاذ آخر « من جامعة اكسفورد ايضا » هو البرتو ـ تروفر ـ روبر ، فيؤكد في سعة المصادر والوثائق والتفسير التاريخي ان هتلر كان شديد الدقة مكتمل الوعي والحذق في كل خطواته السياسية والعسكرية وان الظروف القاهرة وحدها هي التي ادت الى فشل التجربة النازية.

واصحاب هذه النظرة يفرقون بين المخطط العام للحكم والسلوك في ظل الديكتاتورية وبين حذافير التدبير واجراءات السعي والبت. ويقولون ان الحكم المطلق مغرم في اكثر الحالات في خلق فلسفته الخاصة لما يجب ان يكون في مجرى الحياة القومية ـ فلسفة يشد ايمانها بما تعتقد انه حق وصواب وتحاول ان تصوغ الاحداث تبعا لذلك في قوة السلطان المقتدر . فاذا طرأ على هذه الاجراءات ما يعرقل نجاحها فالخطأ ليس في دقة التدبير وانما في الاطار العقائدي والفلسفي الذي تدور فيه .

ويقول مؤلف هذا الكتاب ان الحكم الديكتاتوري لا يرتكب اخطاء صغيرة وانما فشله دائما في قصوره عن ادراك الحق او الباطل في الاطار العام للنظام الديكتاتوري .

اما الكتاب الامريكي وعنوانه ALLIANCE AGAINST HITLER ومؤلفه وليام ايفانس سكوت فهو دراسة تفصيلية للتحالف الفرنسي ـ السوفييتي في السنوات السابقة لحروب هتلر . فقد ذعر الفرنسيون من هذه السرعة الفائقة التي تم النصر بها للنازية في احياء القوة الالمانية عام ١٩٣٣ وما بعد ، فاسرعت الحكومة الفرنسية للتحالف مع ستالين بحكم ان الشيوعية خصم لدود للنازية وان فرنسا ستضمن على الاقل سندا في روسيا السوفييتية يحميها من خطر التوسع النازي.

وكما يعلم الجميع فقد نكث السوفييت هذا العهد الفرنسي ـ الروسي وتحالفوا مع هتلر في عام ١٩٣٩ وتركوا فرنسا عرضة للغزو النازي.

وهنا مرة اخرى يستنتج المؤرخ عقم الاطمئنان الى القول الذي يؤكد ان الديكتاتور يعرف دوما اصول التصرف . فتحالف ستالين مع فرنسا عام ١٩٣٥ كان مدفوعا بخوف عميق من الخطر النازي وايمان منطقي بان من الخير لروسيا السوفييتية ان تجد في فرنسا حليفا يشاركها النقمة على النازية . وسواء اكان ستالين مخادعا ام غشاشا في تحالفه مع الفرنسيين ثم عكوفه عن هذا التحالف فان العقل الديكتاتوري لم يكن ـ في هذه الحالة وحالات عديدة مشابهة لها ـ يدرك بالضبط حقائق الاشياء ولم يكن يلتزم بمخطط اوبرنامج مدروس رغم اسطورة الحذق والدهاء وعمق التدبير التي تقال عن ستالين .

المسرح القومي الجديد في بريطانيا

واخيرا وبعد حوالي ١٥٠ عاما من صامت الدعوات لدى اهل الفن المسرحي في بريطانيا تحققت امنيتهم في مولد « المسرح القومي » وخصت الدولة له بعض الموارد وقسطا من الطمأنينة لا تتأرجح تبعا لرواج التذاكر وقلق الروائيين والممثلين من عقم المغامرات المالية والتجارية في اخراج المسرحيات الكلاسيكية التي لا تقوى على منافسة المستجد من الادب الفكاهي والغنائي الذي يستأثر الان بالطاقة الكبرى في الانتاج وفي شعبية الاقبال.

والواقع ان بريطانيا بالذات « على عكس ما هو في امريكا مثلا » لا حق لها ان تشكو من كساد المسرح الكلاسيكي . فأدب شكسبير يجد دوما مجاله في الوسط البريطاني في كل موسم وفي اكثر القطاعات الريفية التي تنافس لندن احيانا في عشقها للفن المسرحي.

الا ان دعاة المسرح القومي لبريطانيا يصرون على ان في الميراث ما يفرض تفرغا كليا للمسرح الكلاسيكي لا تعرقله مشاكل التمويل او دلال شباك التذاكر .

وهكذا كان .

وقد اختير لادارة المسرح الناقد الشاب « تايتان » وهو ابرز قلم فني في حاضر الثقافة الانجلو سكسونية يعالج المسرح هذه الايام ومقالاته في مجلة « الابزرفر » البريطانية و « النيويوركر » الامريكية شاهد على رفعة هذا اللون من النقد والتوجيه .

وقد تطوع الممثل البريطاني المعروف « لورنس اوليفييه » في الاشراف على الاخراج والادارة الفنية .

والذين تسنى لهم (ككاتب هذه السطور) ان يشهدوا افتتاحية المسرح القومي بلندن في « هاملت » او في « العم فانيا » يطأطئون الرأس لرفعة التمثيل والاخراج وجدية التعبير في الديكور وفي الالقاء وفي عمق التفسير لضمير المؤلف ورسالته ـ عمق لا يمكن ان يعبر عنه الا هذا النفر الممتاز من الممثلين البريطانيين الذين يتميزون (مثل اوليفييه وجيلجود وماكس ادريان وغيرهم) بثقافة حضرية واسعة .

دايلان توماس تحت المجهر

دايلان توماس

كاتلين توماس

* * *

الشاعر (ديلان توماس DYLAN THOMAS) اسطورة عند بعض عشاق الشعر الانجليزي المعاصر رغم ان الشاعر قد توفي قبل عشرة اعوام فقط في سكرة حادة في حي الغنانين في نيويورك حيث كان يلقي مقطوعات من قصائده . فقد كانت حياة هذا الشاعر الانجليزي « الواقع انه من مقاطعة ويلز المعتزة بعصبتها القبلية واللغوية » نموذجا لما يروق للناس ان يكون عليه الشاعر : ثورة في السلوك والفكر واباحية في الاخلاق وتحلل من اكثر القيم المتعارف على صيانتها بين الناس .

وبقيت اسطورة « توماس » راسخة في حلقات الادب والشعر الانجليزي اذكاها بضعة كتب صريحة وضعتها زوجته بعد وفاته وصفت فيها مزيدا من شذوذه (وشذوذها ايضا كما شهدت به في غرامها مع ملاحي السفن في موانىء ايطاليا !) .

وللشهرة ثمنها ولا مفر لاصحابها ان يثور حولهم جدل . وهكذا كان لتوماس . فقد قص له النقاد البريطانيون ثوبا ادبيا ضيقا (انتاج توماس ضئيل فقد مات في مستهل العقد الثالث من عمره) بينما ناصره النقاد والامريكان على اعتبار انه من الرومانطيقيين الاوائل في هذا العصر المادي الصرف .

وقد اعلنت ثلاث جامعات امريكية تخصيصها فصولا موسمية طويلة لدراسة شعر توماس بينما رفضت دور النشر البريطانية اعادة طبع ديوانه على اعتبار انه لا يضمن الرواج .

وقد اخذت زوجته تعد دراسة ذاتية عنه الا انها اشتكت بانها لا تمتلك وسائل او مخطوطات صالحة للاقتباس في تراث زوجها . وناشدت الزوجة عشيقات زوجها في مختلف ارجاء العالم الانجلو سكسوني بان يزودنها برسائله اذا كن لا زلن يحتفظن بها . وقد ردت احدى هذه الخليلات فقالت « ان توماس كان مشغولا اكثر الوقت في عملية الحب فلم يجد الوقت للتعبير الكتابي عنه » . ووافقت الزوجة على هذا الوصف!..

واخيرا صدر كتاب الزوجة بعنوان :

NOT QUITE POSTHUMOUS LETTERS TO MY DAUGHTER.

« لابنتي طالما انا حية » .

وتقول الزوجة انها « حين يقال بان توماس لم يكن افحل شعراء الدنيا ـ فانا لا اصدق هذا القول دقيقة واحدة ـ فان من صميم الاسى ان زوجي لم يكن انانيا ولا فاقدا لرقة المشاعر والا فانه لو بقي لتفوق على الخليقة » .

والزوجة « واسمها كاتلين توماس » تصر على ابنتها بان : « مهما فعلت فلا تقربي الفن والفنانين » وتوصيها بان تعاشر الخبازين والحدادين ـ وخصوصا الحدادين !

وبين الزوج والزوجة في هذا الثنائي الادبي قبس من تاريخ الشعر والشعراء في عصوره القديمة ـ ثورة على الفكر وعربدة في السلوك وانطلاق يأكل الحياة حلوها وحامضها في نهم وسرعة لا تعبأ بشيء.

اسرائيل وبن غوريون

وعلى حديث فوضى التدبير في ظل الحكم المطلق استرعى الانتباه هذا الكتاب الجديد الذي نشرته المطابع الامريكية مؤخرا لحاخام السياسة والايديولوجية والحرب ايضا في اسرائيل داويد بن غوريون . وعنوان الكتاب : « اسرائيل : سنوات التحدي » .

والمفروض في هذا الكتاب ان يكون سردا للتدبير الصهيوني في اغتصابه لديار العرب . والكتاب واحد من عشرات تصدرها المطابع الغربية في سيل جارف من الوان الترغيب والترهيب والغش او الزهو الذي يتحكم في عقلية اقطاب الحركة الصهيونية ـ وداويد بن غوريون في طليعتهم.

وهنا ايضا في قراءتك لهذا الكتاب تدرك مدى الصحة في السلوك الديكتاتوري « فعقلية بن غوريون وسلوكه في القيادة الاسرائيلية طابعها الحكم المطلق وان اتخذ قوالب الديمقراطية ستارا باليا لذلك ».

فليس في اجراءات القيادة الصهيونية وتدابيرها لغزو فلسطين مجال لاخطاء صغيرة . فقد توضب كل شيء على وجه دقيق يؤيده ويؤازره كل دماغ او خبرة او قوة توفرت لانصار الحركة الصهيونية في عالم الشرق والغرب . انما الخطأ الاكيد في فلسفة الحركة الصهيونية انها « كالنازية او الشيوعية » تستند في جذورها الى خطأ كبير وهو ان كيان اسرائيل في هذا الاقليم العربي لا يمكن ان يكتب له البقاء لانه نشاز في هذا الطابع العربي العنيد لهذا الاقليم الذي اصر على الاحتفاظ بطابعه هذا رغم تعدد الغزوات في فترات الضعف المحلي .

ويبدو ان بن غوريون يدرك ذلك في دخيلة النفس . فكتابه الجديد دعوة سافرة الى توطيد الصلة الروحية والثقافية والمذهبية بين تراث اسرائيل وتراث البوذية الهندية . لعل بن غوريون يطمح من وراء ذلك الى خلق جسر بين اسرائيل وبين الهنود يتخطى هذا الحاجز العربي . وطالما ان جذور القومية الصهيونية هي في حضارة الغرب « رأسمالية كانت ام ماركسية » فلا بأس من ان تتوطد القومية « والمصالح » الاسرائيلية مع الهند على اعتبار انها خصم لعروبة الاسلام في القارة الهندية ـ او هكذا يظن بن غوريون في تتلمذه السطحي على الفلسفة البوذية .

مشكلة اللغة القومية عند الهنود

وفي الوقت الذي يصبو اليه بن غوريون (وعديدون غيره في الشرق والغرب) الى لون من الوصال الروحي والثقافي بالحضارة الهندية المعاصرة تثور في البرلمان الهندي نفسه حملات شعواء على فقدان الجذور والمؤهلات لقيام لغة قومية هندية واحدة في عهد الحكم الذاتي وفي هذه الرقعة السياسية «الاصلية او الزائفة» التي تتوفر للدولة الهندية الحديثة.

فلغة التخاطب والحكم عند اكثر اولياء الامر والقادة في الهند لا تزال باللغة الانكليزية . فليس هناك لسان واحد يعطى للاستقلال والوحدة الهندية طابعا قوميا اصيلا .

فالمسعى الجدي لاحلال اللغة الهندوكية مكان اللغة الانكليزية كلغة التخاطب والتدريس والثقافة القومية باسرها ـ هذا المسعى لا تزال تفرضه عقبات جسام . فلا اولو الامر انفسهم (بما فيهم جواهر لال نهرو) قادرون على التعبير السليم باللغة القومية (فثقافة اكثرهم هي الانكليزية) ولا ثروة اللغة الهندوكية نفسها قادرة على مواجهة حاجات العصر . هذا فضلا عن ان تعدد اللهجات واللغات في مختلف القطاعات والولايات التي تتألف منها الهند اليوم ـ هذا التعدد واسع ومتشعب . فليس في الجو

او في حاضر الاستعداد الهندي ما يستطيع التغلب عليه .

ولذا يجد عدد كبير من نواب الامة الهندية ومثقفيها غضاضة في الاصرار على ابقاء اللغة الانكليزية لغة الحكم والتخاطب في الهند ـ وتعميمها لتصبح اللغة القومية الشاملة للقارة الهندية باسرها. فاللغة الهندوكية نفسها ليست مفهومة او مقروءة او صالحة للاستعمال سوى عند فئة قليلة جدا من بين مئات الملايين من سكان الهند . وبالقياس فان اللغة الانكليزية اكثر انتشارا من اية لهجة او لغة محلية اخرى واسرع هضما لدى اكثر الهنود .

عودة « الروح »
في حاضر الادب السوفياتي

***

في زاوية متواضعة من الصفحات الاخيرة لمجلة الادب السوفيتي « نوفي مير » NOVY MIR اعلان صغير يعد القراء بنماذج جديدة من نتاج (ايليا اهرنبرغ) و (فيكتور نيكراسوف) و (كونستانتين باوستوفسكي) و (الكسندر ياشين) في مستهل العام الجديد .

وفي ايام ستالين كانت هذه النبذات الاعلانية ميزان الرضى او النقمة على اهل الفن والادب ، الا ان حاضر الادب السوفياتي في هذه الحقبة من عهد خروتشيف قد عدل ذلك الميزان خصوصا بعد ان فرضت اقلام روسية نقية نفسها على حفظة الثقافة والادب في شتى وسائل المواصلات الفكرية بما فيها قراءة الشعر ونماذج النثر في الحدائق العامة وحرم الجامعات او تهريب نتاج الفكر الى حيث يتوفر له النشر خارج البلاد كما حدث فعلا في بعض مؤلفات (باسترناك) وفي غضبات الشاعر الشاب (يفتوشنكو) وفي انتاج (روزديستافينسكي) حيث نمت في الضمير والعلانية « شعوبية » صريحة تجادل بعض اصول الفقة والسلوك الماركسي مما لم تقو الاقلام والنفوس على الجهر به في الحقبات السابقة من الحكم السوفياتي.

والنبأ في مجلة « نوفي مير » عن عودة اهرنبرغ ورعيله من رجال الادب السوفياتي المخضرم الى خطوة النشر في معقله الحكومي قد ينطوي على مدلول جديد في مرونة عهد خروتشيف وتراجعه عن ذلك الانذار الخطير الذي وجهه خروتشيف في الربيع المنصرم محذرا اهل الفن والادب في روسيا من الشعوبية في المفهوم التقليدي للماركسية ـ اللينينية كما ينطبق على الانتاج الفكري وعلى قوالب الادب والفن . وكان من جراء ذلك ان توقف (اهرنبرغ) عن نشر فصول جديدة في ترجمته الذاتية وحذف اسمه من قائمة المساهمين في تحرير مجلة « نوفي مير » .

وجاءت بوادر العفو عن « شعوبية » اهرنبرغ منذ اسابيع قليلة حين رتب له اهل الحل والربط المشاركة في مؤتمر لاهل القلم عقد آنئذ في لينينغراد حضره طائفة من رجال الادب الاجانب . وقد عقب ذلك ظهور مقالات متواصلة لاهرنبرغ في الصحف الحكومية اليومية تعزز موقف خروتشيف من عناد الصين في تفسيراتها العقائدية للفكر والسلوك الماركسي ازاء مضي الاتجاه السوفياتي في مبدأ التعايش مع الاخرى . ويتساءل بعض المعنيين بشؤون الثقافة السوفياتية هل عودة « الروح » الى مجرى الحياة الادبية هناك اجراء ذرائعي رهين بظروف طارئة ام هو عكوف نهائي عن صرامة القيود التي تقيد الانتاج السوفياتي؟

الدولة والادب في بولنده

يبدو ان موجة الانطلاق من قيود الفكر والتعبير في حاضر الادب البولندي التي جادت بها الدولة من العامين الاخيرين على الكتاب والمثقفين في بولنده تواجه الان نكسة جدية .

فقد جاءت الانباء ان الكاتب المعروف (ولاديسلاو ماتوين (WLADYSLAW MATWIN) قد طرد او استقال من سكرتارية الحزب الشيوعي في بولنده . ولهذه الاستقالة مغزى في حرية الادب والفن هناك لان هذا الكاتب كان زعيم الجناح في الحزب الذي يجاهد في سبيل مزيد من حرية التعبير للمثقفين في مختلف المجالات .

وجاء ايضا ان مجلتي (نوفا كولتورا NOVA KULTURA) و (برزجلاد كولتورالني PREZGLAD KULTURALNY) المعروفتين بجرأتهما في العامين الماضيين على نشر بعض نماذج الادب الثائر على عتيق الفكر الستاليني ـ هاتين المجلتين الثقافتين قد اغلقتا ـ واستعاضت السلطات عنهما بمجلة مطواعة هي مجلة «كولتورا KULTURA »

... وفي اسبانيا

انذر وزير الارشاد والاعلام في مدريد حفظة الثقافة والكتاب والفنانين الاسبان بان « الدولة قد منحتهم حرية الابتكار والابداع لا حرية التدمير » . وقد جاء انذار هذا الوزير اثر تلقيه عرائض الشكوى من عدد كبير من الاساتذة والكتاب والفنانين ينعون فيها على الدولة الاسبانية قسوتها في قمع حركة الاضراب التي قام بها عمال مناجم الفحم في الشمال الاسباني.

والمعروف ان هذا الوزير « السنيور مانويل فراجا ايريبارتي » وهو كاتب معروف كان قد وعد حين تولى وزارة الاعلام الاسبانية عام ١٩٦٢ بانه سيسعى لرفع الرقابة او تلطيفها عن حرية التعبير .

... وفي البرتغال أيضا

القت السلطات البرتغالية القبض على القصصي والصحفي المعروف الدكتور (اورباتو ترافاريس روديكيس) لتحديه الحكم المطلق في بعض مقاطع قصته الجديدة « المنفي القلق » .

« مدرسة الشمس » قصة اسبانية من الادب المعاصر

الادب الاسباني المعاصر في ظل الحكم المطلق لا يزال يجد منافذه الوحيدة لحرية الانطلاق في معالجته هذه الحقبة القصيرة من الحرب الاهلية بين الشيوعيين والفاشيين التي سبقت الحرب العالمية الاخيرة.

و « مدرسة الشمس » احد نماذج هذا الادب الاسباني المعاصر وهي من تأليف القصصية « آنا ماريا ماتوتي ». وهي على لسان فتاة في الخامسة عشرة داهمتها احداث الحرب الاهلية وهي في رعاية جدتها في قرية نائية نالها بعض ما نال سائر البقاع الاسبانية من اذى الحرب الاهلية.

والقصة دراسة في تطور الطباع والمواهب ودخائل النفس لدى ثلاثة من الاحداث ـ شابين وفتاة كان من المقدر لهم لولا ويلات الحرب الاهلية ان ينشأوا على اسس فاضلة كما ينشأ الاحداث في الظروف الهادئة. الا ان مناخ الثورة قد حطم وافسد المواهب فاستسلم الشابان للخديعة والكذب والنفاق واستسلمت الفتاة ايضا لمثل هذا على انه امر مسلم به لا يتقبل الروية او الجدل او الاصلاح .